بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمابعد:

فقد فرغنا في المرة الماضية من الكلام على الحديث الثاني والعشرين، ونكمل اليومَ إن شاء الله تعالى في هذا المتن المبارك..

يقول المصنفُ رحمه الله تعالى:**(عنْ أبي مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشْعَرِيّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم : ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أو تملأُ مَا بَيْنَ السماءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا. رواه مسلم)**

هذا الحديث عدَّهُ الإمامُ النووي وغيرُه من الأحاديث المهمّة، والتي اشتملَتْ على معانٍ كثيرة كبيان بعض الأعمالِ الصالحة وفضائلِها..وقوله رحمه الله: **(عنْ أبي مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشْعَرِيّ رضي الله عنه)**..راوي هذا الحديث هو الصحابي الحارث بن عاصم الأشعري على خلافٍ شديد بين العلماء -يعني في التسمية- لكن ليس هذا محل بسطه، وعلى كل حال نجري على المشهور في هذا المختصر..هذا الصحابي رضي الله عنه من قبيلة الأشعريين أهلِ اليمن..مات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طاعون عمَوَاس..هكذا ينطقها أهلُ الحديث بفتح الميم (عمَوَاس) وهي بلدة في فلسطين..وذكر بعضُ أهل اللغة أنه بسكون الميم (عَمْواس)..طاعون عَمْواس في العام الثامن عشر من الهجرة.

وقوله رضي الله عنه: **(قالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)**..

الطُّهور -بضمّ الطاء- هو فِعْلُ التطهّر..إذا تطهَّرَ إنسانٌ وتوضّأَ مثلا؛ فقل له: هذا الذي تفعلُه اسمُه طُهور..وأما الماء الذي يُتطهَّرُ به فاسمُه طَهور بفتح الطاء، وهناك خلاف يذكره أهل اللغة.

إذن: المقصود من قوله: (الطُّهور شطْرُ الإيمان) أي: الطَّهارةُ شَطْرُ الإيمان..

وما هي الطهارة المقصودة هنا؟ هل هي طهارة البدن فقط ؛المتمثّل في الوُضوء ونحوه؟ أو المقصود أعمُّ من ذلك فيشمَلُ: الطهارة الحسية والمعنوية كذلك من النِّفاق والحسد وتوابع

الشرك..إلخ..؟ قولان لأهل العلم؛ الأكثرون على أنَّ المقصودَ بالطُّهورِ الوُضوءُ للروايات الأخرى التي جاءت (الوُضوء شطر الإيمان)..وطريقةُ العلماءِ في إيرادِ هذا الحديث تحت أبواب الوضوء يدلُّ على اختياراتِهم لها، ولأدلة أخرى في الشرح المطول، وهذا هو الأقربُ والعلم عند الله تعالى.

وقوله صلى الله عليه و سلم: (**شَطْرُ الإيمان**)..أي: نصفُ الإيمان؛ فالشطر في الغالب يُطلَق على النصفِ حقيقةً..وقد يكون معنى الشطر: القسيم أو الجزءَ، وهذا لا يلزَم منه أن يكون القسيم نصفَ قسيمهِ الآخر بالتساوي بين الجزئين..كما تقول مثلا: الناس قسمان: كافر ومسلم؛ فهذا لا يعني أنَّ عددَهما متساويان..ولهذا لا يصحّ أن يُقال المقصود بالشطر هنا النصفُ على وجه الجزم ، هذا لايصح! بعضُهم جزمَ بأن المراد هو النصفُ حقيقةً، وهذا فيه ضعف؛ فالأمر محتمل.

وقوله صلى الله عليه و سلم : (**الطُّهور شَطرُ الإيمان**)..هل المقصود بالإيمان هنا المعنى العام فيشمل الإسلام والإحسان؟ أو المقصود بالإيمان الصلاة؟ قولان لأهل العلم رحمةُ الله على الجميع؛ فإن قلنا المقصود بالطُّهور الوُضوء؛ فيكون له تفسيران ، وإن قلنا المقصود بالطهور الطهارة عمومًا فيكون الإيمان له تفسير واحد .

١-نأتي للقول الأول: القائل بأن الطُّهور بمعنى الوضوء ، سيكون تفسير الإيمان إما أن نفسره بالصلاة أو بالدين كلِّه..فيكون المعنى هكذا الطُّهور شطر الإيمان: يعني: الوُضوء شطرُ الصلاة؛ لأن الصلاة لا تُقبَل إلا به..أو الوضوء شطر الدين لأنه يُطهرُ الأعضاء من الذنوب والخطايا كما في جاء في الصِّحاح، ويُطهرها من النجاسات كذلك..هذان تفسيران ؛ إذا قلنا الطهور بمعنى الوضوء

٢-أما إذا قلنا الطهور بمعنى التطهير من الذنوب بتركها واجتنابها؛ فلا يرِد إلا تفسيرٌ واحد للعبارة؛ ويكون هكذا: الطُّهور شطر الدين..فالإيمان على هذا القول يُفسَّرُ بالدين؛ لأن الدين قائم على ترك الذنوب والمناهي، وفعل الطاعات والأوامر..طيب: لو قال قائل: لماذا لا يرد تفسيرُ الإيمان هنا بالصلاة؟ الجواب: بعيدٌ أن نجعل الطُّهور التي بمعنى ترك الذنوب شطر الصلاة فقط! لماذا هذا التخصيص؟! فلا يصلح مع تفسيرها بترك المنهيات إلا بالدين العام..أرجو أن يكون التلخيص واضحا..وهناك أقوال أخرى كثيرة..

قال المصنفُ رحمه الله: (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**)..

الحمد أي: وصفُ المحمود بالكمال والجمال محبّةً وتعظيماً له..فمعنى قولك الحمد لله: الوصفُ الكامل لله، أُثني عليه بصفاته، بحكمتهِ وعلمهِ وغناهُ ورحمتِه وتدبيرِه ولُطفِه وألوهيّتهِ وأحمده على شرعِه الكامل أمرِهِ ونهيِه وأحكامهِ..إلى آخر صفاتهِ الكاملةِ سبحانَه وتعالى..وهل المقصود بقوله: (الحمد لله) هذه اللفظةُ بعينِها أو جميع ألفاظ المحامد والثناء – يعني مما يُشتقّ من الحمد–؟ خلافٌ بين أهل العلم ذكرُه في الشرح الثاني.

وقوله صلى الله عليه و سلم : (**تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**)..أي : ميزان العبدِ يومَ القيامة..فهذه الكلمةُ كلمةٌ عظيمة، إذا قالها وهو مستشعرٌ كمالَ صفاتِ الله جلّ وعلا، ومُستحضرٌ لها بعمومها، مقلّبٌ فكرَه في ثناياه، مظهرٌ نقصَه وحاجتَه وفاقتَه لمولاه= غمره من فيض الإيمانِ والأُنسِ بالله وانشراحِ الصدر ونورِ الإيمانِ ما يعجَزُ اللسانُ عن وصفهِ..وهذه العبادةُ تملأُ ميزانَ العبدِ يومَ القيامة؛ لأنَّ مدارَ الأعمالِ في عِظَمِ ثوابِها على ما في القلوب كما قرّر العلماء رحمةُ الله عليهم..وتأمّلوا كيف يُوجّه النبيُّ صلى الله عليه و سلم دائماً أصحابَه إلى الآخرة، ويربِطُ قلوبَهم بالآخرة..هذا كثير في النصوص؛ في كثير من المواقف يصرفُهم من الدنيا إلى الآخرة وإلى الأعمال ؛منها حديث "أتدرون من المفلس"..ومنها حديث: "أترون هذه المرأةَ طارحةً ولدها في النار"..ومنها حديث: "الجَدي الأسكّ الميّت"..ومنها: "من منكم مالُ وارثهِ أحبُّ إليه من ماله"..وغيرها كثير لا يتّسع المقام لذكرِها. والميزان: يعتَقِدُ أهلُ السنّةِ أنه ميزانٌ حقيقيٌّ له لسان وكفّتان، وليس ذلك مجازاً..وهل هو ميزان واحد أو موازين؟ خلافٌ بين أهل السنّة، وليس هذا محلّ بسطِه.

وقوله صلى الله عليه و سلم: (**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ**)..التسبيح: تنزيهُ المولى جلّ وعلا عن النقائصِ والعيوب..لا تلحق صفاتِه نقصٌ، وليس فيه عيبٌ من العيوب. وبعض العلماء يضيف ثالثاً للتوضيح والتبيين؛ بعض العلماء يقول: ولا يشبه المخلوقين..وهذا في الحقيقة داخل تحت الأصلين الماضيين؛لأن كونه يشبه المخلوقين هذا نقص وعيب؛لكن فصلُه للتوضيح فقط والتنبيه..إذن: التسبيح تنزيةٌ وتخليةٌ.

وقوله: **(والحمد لله)**..هذه تحليَة، بعدما نزّهناه من جميع العيوب والنقائص، وصفناه بجميع المحامدِ والكمالات..ولذلك يقول الشيخ ابن رجب رحمه الله: (فضل التسبيح على قدْرِهِ وعِظَمِ ثوابه دون فضل التحميد؛ لأسباب:

أولا: ورد في بعضِ الآثار أنَّ التسبيح نصفُ الميزان، وأما التحميد فيملأ الميزان.

ثانيا: التسبيح سلبٌ لجميع النقائص، والتحميد إثباتٌ لجميع المحامد والكمالات..فالإثباتُ أكمَلُ من السَّلب..فكونك تقول: فلانٌ ليس بخيلاً، ولا جباناً، ولا قبيحاً..هذا أدنى من قولك: فلانٌ كريم، وسخيّ، وشجاع...إلخ.

وقوله: (تملآن أو تملأ) هذا شكٌّ من الراوي، ولعلّ الأشبهَ لفظةُ (تملأ)، والكلام على أثر هذا الاختلاف في الشرح الثاني.

وهل المقصود بقوله (وسبحان الله والحمد لله) هل المقصود الجملةُ المكوّنة من كلمتين تملأ ما بين السماء والأرض؟ أو المقصود كلُّ كلمةٍ منهما تملأ ما بين السماء والأرض؟ كلا المعنيين محتملٌ كما أشار ابن رجب رحمه الله؛ ولعلّ الأقربَ هو القول بأن كلَّ واحدةٍ منهما تملأ ما بين السماء والأرضِ لقرائنَ مذكورةٌ في الشرح الثاني.

ونكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

وقوله صلى الله عليه و سلم: **(تملأ ما بين السماء والأرض)**..يعني فضلاً و عِظَماً وثواباً ونحو ذلك، وللعلماء فيها أوجهٌ هذه خلاصتُها..وينبغي لنا تأمل عِظَمِ هذه الكلمة؟ لا تُكلِّفُ الإنسانَ شيئاً؛ ولكنَّ المحرومَ مَن حُرِمَ مثلَ هذا الفضل.

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم : **(وَالصَّلَاةُ نُورٌ)**..يعني: في الوجهِ وفي القبرِ، وعند الصِّراط..فأما نورُ الوجهِ فمشاهدٌ في أهل الصلاةِ المحافظين عليها، وترى الظلمةَ في التاركين للصلاةِ المضيّعين لها..ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾..وهذا واللهِ بيّن..فيظهر النورُ في وجوهِهم من أثر هذه العبادة الجليل..وفي القبر ويوم القيامة تكون الصلاةُ نوراً للمسلمِ تُسعِدُه وتهديه لطريق النجاة، وقد جاء في الحديث: (بشِّروا المشائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة)..وهذا الحديث و إن كان فيه كلامٌ لأهل العلم، وجاء من طرقٍ كثيرة و النصوص تؤيده..وقوله صلى الله عليه و سلم: **(وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)**..يعني دليلٌ على صدْقِ الإيمان وعلى توكّله على ربّهِ ومولاه، لأنَّ النفوسَ مجبولةٌ على

حبِّ المال وجمعِه، فبذْلُه طاعةً لله وطلباً لرضاه دَلالة على صدْقِ المحبّة..ولذلك تجدون مَن يُريد إثباتَ صدقِ محبّته؛ يبذلُ لمن يُحبُّ أنفسَ ما عنده، وغالباً يكون مالاً.

وقوله صلى الله عليه و آله سلم : **(وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ)**..الصبر في الأصل بمعنى حبس النفس؛ وهو كما هو معلوم ثلاثة أنواع: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على أقدارِ الله سبحانه وتعالى..هذه ثلاثة أنواع كلُّها مُرغَّبٌ فيها من قِبَل الشارع، وهي داخلة في قوله صلى الله عليه و سلم: **(والصبر ضياء)**.

ابنُ رجب رحمه الله ذكرَ استنباطاً لطيفاً؛ يقول: وصف الصلاةَ بالنور، والصدقة بالبرهان، والصبر بالضياء..لماذا ؟ قال : "النور إشراقٌ بغير إحراق، من دون حرارة..والبرهان: يأتي بمعنى الشعاع الذي تراه على وجه الشمس..وأما الضياء: نور مع حرارة كشعاع الشمس مثلاً..والنور بدون الحرارة كشعاع القمر..فجاء الوصفُ مناسباً للموصوف..الصبر فيه مرارة وتعب وشدّة و مشقة كما قال الحكيم: والصبر مثل اسمه مر مذَاقته لكن عواقبه أحلى من العسل؛ فوُصِفَ الصبرُ بالضياء، والصدقة لأنه تُظهِر صِدقَ صاحبِها وُصِفَتْ بالبرهان لوضوحه..والصلاة لما فيها من راحة وسلامة؛ وُصِفَت بالنور".مع العلم أنَّ هناك مَن يجعل النور والضياء شيئاً واحدا كما في الشرح الثاني.

وقوله صلى الله عليه و آله وسلم : **(وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)**..القرآن هو كلامُ الله الموجود بين دفَّتَي المصحف، وهذا القرآن مَن تعلّمه وقام به؛ كان حجّةً له يوم القيامة عند المولى جلّ وعلا، ونجّاهُ من أهوالٍ وأحوالٍ عظيمة، يُدافع عنه ويكون دليلاً له في أحوَجِ ما يكون الإنسانُ محتاجًا فيه للمُعين والشفيع..يشفَع لصاحبه كما في الصحيح: :" اقرءوا القرآن فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه"..وقد قال أكثر العلماء: المقصود بالقراءة هنا مع التفهّم والعمل..وعلى كلّ حال: كلُّ إنسانٍ مع هذا القرآن إما حجةً له، أو عليه..مَن أعرض عن تعلّم هذا القرآن، وعن تعاليمِهِ، ولم يعمَلْ به،كان القرآن يومَ القيامةِ حجّةً عليه، يُخاصمُه عند ربِّهِ ويشهد عليه. وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (مَن جعل القرآنَ أمامه قادة إلى الجنة، ومَن جعلَه خلفَ ظهره قاده إلى النار)..نسأل الله السلامةَ والعافية..اللهم اجعلْنا من أهل القرآنِ العاملين به والداعين إليه يا رحيم يا كريم.

وقوله صلى الله عليه و سلم : (**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**)..الغدو في الأصل الخروج في الصباح للسعي والعمل..وللعلماءِ في مراد هذه العبارة قولان :

القول الأول: أن المراد من ذلك هو خروجُ الإنسانِ لمكاسبه ومصالحه الدنيوية وحاجاته ونحو ذلك؛ فبعضُهم يعمَل بأوامر الله فيها ولا يخاف الشرع في سعيِه وطلبه للحلال فيكون كالذي باع نفسَه لله وأعتقَها من النار، ومن ارتكبَ المحرمات ولم يرتدع منها في كسبِه وسعيِه وذهابه ومجيئه، فينظر للحرام ويأكل بالحرام، ويتعامل بالحرام، ويكذب ويغش ويشتم...إلخ، فهذا أوبقَ نفسَه يعني أهلكها باستحقاقِها عذابَ الله وغضبه..هذا القول الأول.

والقول الثاني: أن المراد بالسعي هنا التكليف والسير إلى الآخرة..فيكون معنى (يغدو) على هذا القول السير مطلقاً في أيِّ وقت، وهذا جائز في اللغة..وعلى كلّ حال: كلنا نسير إلى الآخرة ونعمَل في دنيانا.

ذكر بعضُ العلماءِ مثالاً لطيفا فقال: الإنسان في هذه الدنيا كالسفينة، السفينة لا تسير إلى في البحر، هذا مكانُها، فكذلك الإنسانُ معاشُه وحاجتُه في الدنيا ومرتبطٌ بالدنيا..لكن علينا أن ننتبه..إذا دخل الماءُ في السفينة غرقَتْ..فهكذا لا نجعل الدنيا في قلوبنا، ولا تدخل الدنيا قلوبَنا..إذا دخلَت في قلوبنا أفسدَتْها، وصرْنا نبحثُ عنها وعن ملذّاتِها وشهواتِها بأي صورة وطريقة، بالحلال بالحرام..المهم عندنا أن ننالَ الدنيا ..وأما إذا جعلْناها في أيدينا، و جعلنا أمرَ اللهِ ودينَه في قلوبنا؛ فهنا نسْلَم..لأنه حينئذ، متى ما تعارضتْ دنيانا مع ديننا، ألقينا ما في أيدينا..فينبغي لنا أن نتذكّرَ دائما هذه الجملة (كل الناسِ يغدو فبائعٌ نفسَه فمُعْتقُها أو موبقها)..وفقنا الله وإياكم لطاعتِه.

ثم قال المصنفُ رحمه الله تعالى: (**عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم ضَالٌّ إِلاَّ مَن هَدَيْتُهُ فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم جَائِعٌ إِلاَّ مَن أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُه فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ والنَّهَارِ وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ**

وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِن مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ)..هذا حديث عظيم، عليه مدار الإسلام كما قال بعضُ أهل العلم..وعليه يدور معانٍ جليلهِ، فيه بيان ضعْفِ الإنسانِ وحاجته إلى ربّه، وغنى المولى وعظمتِه وكرمِه..ويُروَى عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: هذا أشرفُ حديثٍ لأهل الشام..وقد كان أبو إدريس الخولاني راوي هذا الحديث عن أبي ذرّ رضي الله عنه يجثو على ركبتيه عند روايته لهذا الحديث....قلوب كانت صافية..امتلأتْ بتعظيم الله جل وعلا.. الله المستعان.

وقوله رحمه الله: **(عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**..هذا الصحابيّ سبقَتْ ترجمتُه..وقوله رضي الله عنه : **(عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ)**..هذا يُسميه العلماءُ الحديثَ القدْسي أو الربّاني أو الإلهي نسبةً إلى الربّ والإله جل وعلا، والحديث القدسي عرّفه العلماءُ بتعاريفَ مختلفةٍ في تفاصيلها..وجمهورُ أهلِ العلم على أنَّ الحديث القدسي معناه من الله ولفظُه من النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم..قال بعضُهم كالسيوطي وغيرِه: كلام الله المحكي عنه بكلامٍ غير معجز ولا متعبّدٍ به..ولهم كلامٌ كثير نتركُه اختصاراً..والخلاصة: المختار والعلم عندَ الله تعالى أنه لا يجوز أن يُقال: الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من النبي صلى الله عليه و سلم..لأنّه لم يرد دليلٌ واحدٌ يُثبتُ هذا القول..بل الأقرب أنَّ اللفظَ من الله كذلك، هذا ظاهر قوله رضي الله عنه: (يقول الله، يرويه عن ربّه) ظاهرُها أنَّ اللفظَ من الله..وتفصيل هذه المسألة في الشرح المطوّل.

وقوله: **((يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَالَمُوا)**..نداء فيه تودّد وتلطّف: يا عبادي..وهذا والله فخرٌ وشرف بأن ندخلَ تحت قوله: (يا عبادي).

والظلم في اللغة: وضعُ الشيءِ في غير موضعِه وعلى غير غايتِه..وهذا محضُ فضلٍ من الله، مع أنّ الظلمَ في حقِّه مستحيل،اللهُ يتصرّفُ في ملكه كيف شاء؛ ولكنّه حرّمَه على نفسِه كما جاء في آياتٍ كثيرة، وكذلك حرّمه على عبادهِ؛ وهذا من باب أولى، إذا كان الخالقُ المالكُ قد حرّمَ الظلمَ على نفسِه؛ فكيف بنا نحن الضعفاء؟! فلأجل هذين السببين قال: **(فلا تَظالَموا)**..سواء كان هذا الظلمُ عائداً على نفسِ العبد مباشرةً كالشركِ وما دونها من المعاصي أو كان الظلم واقعًا على غيرِه من العباد بانتهاكِ أعراضِهم وأموالِهم، وتضييعِ حقوقهم.

وقوله: **(يَا عِبَادِي، كُلُّكُم ضَالٌّ إلاَّ مَن هَدَيْتُهُ فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)**..الأصلُ والغالبُ في الإنسانِ أنّه ضالٌ غيرُ مهتدٍ إذا وُكِلَ لنفسِه وللدنيا وفتنِها والشيطانِ ووساوسِه..وهذا لا يُعارِضُ حديث: (كلُ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة)..وهذا ليس صحيحاً؛ ليس بينهما تعارض، فحديث: (كل مولود يولد على الفطرة) يُبيّن أنَّ ضلالَ الإنسانِ بسبب بيئتِه ومَن يُؤثّر فيه..وهذا الحديث يدلّ على أنَّ الإنسانَ محتاجٌ إلى الله في كل أموره، في هدايتِه ليقيَه شرَّ شياطينِ الإنسِ والجنّ والهوى والشهواتِ والفتن وإلا ضلَّ وغوَى..ولذلك ندعو اللهَ في كلِّ صلاة: (اهدِنا الصراطَ المستقيم).

وقوله: **(يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَن أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ)**..فالرزقُ في قبضةِ الله وحدَه، فهو الذي يرزقُ الكافرَ والمسلمَ، والصالحَ والطالحَ، والخلقَ أجمعين من حيوانات وبهائمَ وغيرِها ولذلك يقول تعالى : (فابتغوا عند اللهِ الرزقَ واعبدوه واشكروا له إليه تُرجَعون و ما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقُها و يعلم مستقرها و مستودعها).

وقوله: **(يَا عِبَادِي، كُلُّكُم عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُه فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)**. الكِساء من الله وإن حصل وأَجْرَاه على يد المخلوقين؛ فما هم إلا أسباب. ولكم أن تتأمّلوا كم قيمةُ هذه المعاني التي يغرسُها هذا الحديث في قلب المؤمن! توكّل واستغناء واطمئنان..رزقنا الله وإياكم حقيقتَها.

وقوله: **(يَا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخطِئُونَ باللَّيْلِ والنَّهَارِ وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)**..الخطأ هنا بمعنى المقابل للصواب، يعني بمعنى الذنبِ والإثم..فنحن نُخطِئُ ونُذْنِبُ في الليل والنهار والله المستعان..ولكن ختمَها بهذه البِشارة العظيمة **(وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

جَمِيعاً)..فما هو المطلوب؟ قال:**(فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)**..فالمسلمُ يستغفرُ ويندَم ويرجِع إلى ربّه ومولاه، والله سبحانه جل و علا وعَدَه حينئذٍ بالمغفرة، وهذا من كرمِهِ وفضله وإحسانِه.

ثم قال: **(يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)**..لأنه الغني القوي المتين..فكيف يستطيع العبدُ أن يضُرَّه أو ينفعَهُ؟ تعالى الله وتقدّس..وهذا لا يُعارِضُ حديثَ: (يُؤذيني ابنُ آدم، يسبُّ الدهر)، لأنَّ الأذى هنا باعتبار الفعلِ والسبّ..يسبُّ اللهَ أو رسولَه صلى الله عليه وسلم..وأما بالنسبةِ لما ينالُ الله؛ فهذا مُحالٌ في حقِّ القويّ الغني.

وقوله: **(يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً)**..هذا بلا استثناء جميع الخلق؛ لو كانوا على قلبِ مثلا النبيّ صلى الله عليه و سلم..هذا لا ينفَعُ المولى بشيء؛ فهو غنيٌّ عن عبادتِنا وطاعتِنا ولا يحتاج لشيءٍ من ذلك..ولا يزيد في ملكِه شيء..هل رأيتُم غنىً كهذا الغنى؟! لا والله..فالمنتفع أولاً وأخيراً في ترتيب دنياه و في انتظام الحياة وآخرته هو العبد فقط العبد..لا غير.

ثم قال: **(يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِن مُلْكِي شَيْئاً)**..جميع الإنس و الجنّ من عصرِ آدم إلى قيامِ الساعة لو كانوا على قلبِ فرعون مثلاً؛ هذا لا ينقُصُ من ملكِ اللهِ شيئاً، ولا يضرُّ اللهَ شيئاً..سبحانه ما أغناه و أعظمَه..ما هذا الغنى؟! شيء يحتارُ في العقل ويعجَز عن إدراكِ كنهِهِ؟!..ومع هذا يتودّد إلينا جلّ وعلا..والله الواحد يستحي من اللهِ؟! انظروا الآن إلى المسلمين لو كشف الله لنا الحجاب كم يعصون اللهَ سبحانه جل و علا وهو الكريم الغني، ويصبِر عليهم الحليم جل وعلا..أنا اتكلم عن المسلمين قبل الكفار، المسلمون فعلوا في دين الاسلام أشد مما فعل الكفار في هذا العصر و هذا يتطلبُ منّا تأملاً أكثر وتقليبَ فكرٍ في هذا الحديث ومعانيه، لكن اتفقنا على الاختصار.

وقوله: **(يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ)**..المخْيَط: الإبرة السميكة الصقيلة، وهذه لا تشرَبُ شيئاً من البحر، ولا تأخذ شيئاً

منه..وهذا من باب المثال للتقريب والتوضيح..فانظروا إلى سَعةِ ملكه وتمامِ غناه؟! هل يستطيع أحدٌ أن يتصوّر هذا؟! لو كُلِّفَ شخصٌ بإطعامِ أهل آسيا فقط وجبةَ غداء واحدة فقط؛ كم سيُكلِّفه من مصروف ومن جهدٍ وترتيب و نظام؟! وكيف لو كُلِّف بأهل الأرض جميعاً؟ وكيف لو كان ذلك لشهر؟! سبحان الغني الكريم.

ثم قال: (**يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاها، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**)..الله سبحانه وتعالى يُحصي أعمالَ العباد كلَّها في كتابٍ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها..كما قال تعالى: (أحصاهُ اللهُ ونسوه)..بل يحصي أعمالَنا وأعمالَ الملائكة كذلك وهو الغني عن كل أحد جلَّ وعلا.

فمَن وجدَ الخير في صحيفتِه فلْيحَمدِ اللهَ الذي وفّقه وأرشدَه وهداه.

ومَن وجدَ الشرَّ في صحيفتِه بعدَ ما أرسلَ له الرسل، وبيّن له السبُل، وأعطاه الاختيار؛ فاختار طريقَ الغواية والضلال؛ فلا يلوم إلا نفسَه..كمن يضع يدَه في النارِ فيحترق؛ يلومُ نفسَه بل يلومُه الناس أيضًا، لا يُوجَد أحدٌ ذهبَ يُريدُ الصلاةَ فأصابَه شللٌ في رجليه ولم يستطِع الوصول للمسجد؛ إذا حصلَ هذا فهو معذور، وأما يجلس يلعب ويلهو فلا يلوم إلا نفسَه..وقد تدارسْنا هذه المسألة في باب القدَر.

ثم قال رحمه الله: (**رَوَاهُ مُسْلِمٌ**). و فيه اختلاف في أول لفظة في الحديث: " يرويه عن ربه" في النسخ التي بين أيدينا . وهذا حديث عظيم كما سمعتُم، رزقنا الله وإياكم التقوى، والله تعالى أعلم. و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين.